المحاضرة الأولى: مفهوم الدراسات الثقافية

اثار مفهوم الدراسات االثقافية منذ ظهوره اهتمام الباحثين، وانعطس هذا الاهتمام على ازدهار الدراسات في هذا المجال، لا سيما في العقد الاخير من القرن الماضي، اذ شكلت خلفية معرفية للكثير من الدراسات التي شملت موضوعات متعددة متلك التي تتصل بالذات، الهوية، المرأة...ولكن البداية الرسمية كانت مع تأسيس معهد برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة بانجلترا سنة 1964، وكان لهذا المركز فضل كبير في تركيز الاهتمام على ثقافة الجماهير وتفاعلها مع وسائل ترويجها وطرق استهلاكها.

ويشكل مفهوم الثقافة أحد المفاهيم التي حظيت بأكثر الأعمال شهرة في العلوم الاجتماعية، وأكثرها تناقضا كذلك. فقد يدل مصطلح ثقافة على متن يضم أعمالا كبرى تحظى بالمشروعية، وأحيانا أخرى يأخذ المصطلح دلالة أنثربولوجية تشمل أساليب العيش والإحساس والتفكير التي تتميز بها جماعة اجتماعية معينة، فالثقافة تستمد سيرورتها المفهومية من حقول دلالية عديدة، وتتسم بالاختلاف من حقل إلى آخر، بل بين مجتمع إلى آخر، وهذا ما تَنَبَّهَ إليه الباحث روبنز ستيفان حين قال مُعَرِّفًا الثقافة تعريفًا دقيقا ومكثفًا: "أسلوب وطريقة حياة مجتمع من المجتمعات.، وهو نفس التوجه الذي تَبَنَّاهُ الناقد الثقافي ريموند ويليامز حين قال: "كل طريقة للحياة يعيشها الناس.

ومن هنا، استمدت الدراسات الثقافية مشروعيتها وشرعيتها، مستفيدة من الرحابة المفهومية للثقافة، وإحاطتها الشاملة بكل أنماط التفكير والأنساق الثقافية.

ويعرفها فلورنس غروسبيرغ " على انها مجال بوصف والتدخل في الطرق التي تنتج وتشتغل من خلالها وداخلها النصوص والخطابات والممارسات الثقافية ضمن الحياة اليومية للأفراد والمؤسسات داخل المجتمع"

ويعرفها ستيوارت هال على أنها تشكل خطابي من الأفكار والصور والممارسات التي توفر طرقا للحديث عن أشكال المعرفة والسلوك المرتبطة بموضوع معين أو نشاط اجتماعي أو موقع مؤسسي في المجتمع.

ويعد ظهور مفهوم الدراسات الثقافية نقطعة انعطاف في تاريخ الفكر الانساني، ومع هذا فهي من المفاهيم الغامضة التي لم يتفق الباحثون على تقديم تعريف لها لان هذه الاخيرة مرتبطة بمفهوم الثقافة ومفهوم الثقافة هو مفهوم واسع يصعب حصره في تعريف محدد كما انه معقد وغامض ولهذا نجد اختلافا كبيرا بين الباحثين حوله.

وللدراسات الثقافية عدة خصائص منها:

انها تتضمن علاقات لها علاقة بالممارسات الثاقفية وعلاقتها بالسلطة لاختبار مدى تأثير تلك العلاقات على الممارسات الثقافية.

-انها ليست مجرد دراسة للثقافة بل هي فهم للثقافة بجميع اشكالها المعقدة والمركبة، وتحليل سياقها الاجتماعي والسياسي.

-تعتبر التزاما فكريا وبراجماتيا في نفس الوقت.

-تلتزم الدراسات الثقافية بالارتفاء بأخلاقيات المجتمع تتضمن الالتزام باعادة هيكلة البناء الاجتماعي.

ولكن يمكن أن تحدد بأنها : ملتقى كثير من العلوم والتخصصات، أهمها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والفلسفية و الاثنولوجيا و السيميائيات والأدب والفنون.

فعندما نتحدث عن الدراسات الثقافية نشير إلى مجال شامل يستكشف ويحلل الثقافة من جوانبها المختلفة، بما في ذلك العقائد والقيم والعادات والتقاليد والممارسات والرموز واللغات والتعبيرات الفنية وغيرها ومن خلال ذلك يعمل الباحثون في الدراسات الثقافية على فهم كيفية تكوين الثقافة، وكيفية تأثيرها على التفاعلات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

لذا يمكن أن القول ان الدراسات الثقافية ليست مجرد دراسة للثقافة، بل هي مجال شامل يهدف إلى فهم الثقافة بشكل عميق وتحليل تأثيرها على المجتمع والفرد، ومناقشة كيفية تشكيلها وتغييرها وتأثيرها على عمليات الهوية والسلطة والتغيير الاجتماعي والثقافي.